

نبض المدينة

بيروت الممزقة بأوتوس

رهيف، فياض *

1- مبضع الجراح، وجسد المدينة

■ منذ انتهاء الانتفاضة الشعبانية في العام 1958، ومبضع الجراح يحفر عميقاً في جسد المدينة العاصمة، دون أي اكتراث بالتراث الذي يدمره، وبالآلام التي يسببها.

جادة فؤاد شهاب أولاً، من غرب المدينة حتى منطقة فسوح في شرقها. كانت متواضعة في عرضها عند البدايات، وأصبحت مبتلعة كل ما يحوطها، فاصلة المدينة عن قلبها التاريخي. ثم كورنيش المرزعة، يوصل منطقة الروشة بطريق النهر عبر جادة عبدالله اليافي. كورنيش مزروع بالأنفاق المعتمة، من الرملة البيضاء، حتى مستديرة قصر العدل.

ثم جادة الاستقلال، تحاذي الشبابيك، وتتراكم جسوراً فوق بعضها، طبقات طبقات، وتخرق المصيطبة، وبرج أبي حيدر، والبسطة، وصولاً إلى منطقة السويكو، والأشرفية... وغيرها من الأوتوسترات المدينة.

■ ومع انتهاء الحرب الأهلية، وبداية موسم الإعمار المروع، أمعن الجراح في تقطيع جسد المدينة بشكل شبه هستيري. فأكمل نفق سليم سلام أسود، مُعتماً، شمالاً وجنوباً. واد عميق أوصله إلى منطقة «عشور» عند نصب رياض الصلح، وفصل بقسوة رقائق البلاط عن الباشورة. وجسر جاور شرفات المنازل وكاد يقتحمها. ثم نفق، ثم واد بجدران مرتفعة، تمرق، وتحجب الرؤية، فتضيق معها أنفاس العابرين. أوصل الجراح عبر هذه المنشآت، منطقة الفنادق إلى المطار، ومنه، إلى خلدة خارج بيروت.

ثم استدار نحو منطقة الأونيسكو، ووقف عند نصب حبيب أبي شهلا والمبضع في يده. نظر جنوباً، واقتطع من لحم المدينة شريحة مبالغة بعرضها، ورسف في المكان أوتوستراداً مديناً، وجعله المدخل الجنوبي الرئيس للعاصمة.

■ فصل الأوتوستراد المستحدث، شرق منطقة الرملة البيضاء عن غربها، وبدا كنه جارٍ، يستحيل عبوره من ضفة إلى أخرى. فحفر فيه الجراح نفقين، واحد في أوله، وثان في آخره. وتمدد الأوتوستراد عبر منطقة الأوزاعي، ليمر في نفقين تحت المدرجين الجديدين.

رذم الجراح هناك الشاطئ الرملي الأجل في المدينة، وبنى جداراً يحمي الأوتوستراد من الأمواج، ويحجب البحر عن العابرين.

■ كان الجراح قد عمد قبل ذلك، إلى توسيع جادة فؤاد شهاب كما سبق وذكر، وتوسيع شارع جورج حداد عند بؤابة الجميزة. فزتر صاحبة الأغنياء عنيت منطقة سوليدير،

وفصلها عن المدينة، أكرر مضطراً. وتمددت جادة فؤاد شهاب في منطقة فسوح، عبر نفق وجسر، فطالت المدينة العاصمة بذلك، منطقتي سن الفيل والدكوانه.

أما في وسط جزئها الغربي، فحفر الأنفاق المتكررة على امتداد كورنيش المرزعة كما سبق وذكر مرة أخرى، وجادة عبدالله اليافي، ومنطقة العدلية، وصولاً إلى طريق النهر، وطريق طرابلس.

وتفرع من جادة فؤاد شهاب أوتوستراد مديني



محاوره خارج السياره

خارج السياره... محاوره قائمه

اللقاء الرئيسية بين ناس المدينة، وواحدة من أمكنة الذاكرة الجماعية العنيدة.

مات القلب إذاً، بعد أن أفقده إعادة إعمار، دورَه الموحد وطنياً. وابتدأ مع الموت هذا، اختناق العاصمة اجتماعياً.

■ تطل على الوادي العريض من فوق جادة فؤاد شهاب، فلا نرى ساحة البرج، ولا نرى بعد ربع قرن، جادة البرج الموعودة. وهل يمكن لجادة عريضة، أن تكون بديلاً عن ساحة عريضة، تاريخية، جامعة، دافئة، مرحبة، حاضنة؟!

تطل من فوق الجادة على المجالات الفارغة الباردة، فيقال لنا، إذا سالنا عن ساحة الدباس، إنها في مكان ما، في أعلى الوادي العريض، المقفر!

وإذا سالنا عن ساحة رياض الصلح، بشيرون إلى نصب ضائع وسط رصيف، أمام سور مشروع بناء ضخم سيقيم هناك.

ابتلع الساحة رصيف. وسوف يضيغ النصب غداً، أمام المبني العملاق، خاصة، وأن ساحة - حديقه أخرى افتعلت هناك، تحمل اسم «جبران خليل جبران».

تزوير فاضح مؤذ. ويصل التزوير لوقائع الجغرافيا والتاريخ إلى ذروته، عندما يقولون إن المارينا الضخمة التي ابتلعت خليج القدس جاورجوس هي «الزيتونة باي» أو خليج الزيتونة، والمجال شمال مبنى ستاركو، هو «ساحة الزيتونة».

ويستمر اختناق العاصمة اجتماعياً، مع هذا الإصرار على محو كامل لمعالها التاريخية، ولأمكنة الذاكرة الجماعية فيها. ومع الإمعان في تزوير هوية الأمكنة، وجوهر انتمائها الجغرافي، والإنساني.

■ ثم جاءت إعادة الإعمار أكرز، ومعها وبعدها، طفرة البنين العمياء، فقسمت المدينة المقسمة.

قسمت المدينة العاصمة إلى جزر مبنية معزولة، تحوطها الطرق، والأوتوسترات، والجسور، والأنفاق.

جزر لا تتواصل ولا تتفاعل، ولا أمكنة فيها للقاء ينتج وعياً جماعياً.

أضيف إلى العازل الطائفي، عازل جغرافي، كما أضيف إليه أحياناً، عازل مذهبي.

ازداد العازل المذهبي وضوحاً، مع الأوضاع العربية الراهنة.

أخر، اخترق نفقاً تحت ساحة ساسين، فسلك طريق أوتيل ديو، وسيار الدرك، والمتحف. أو استمر فوق جسر ليصل إلى الحازمية وطريق الشام.

■ وبجانب النهر، عند الحدود الإدارية للمدينة، تراجعت فوق قواعد خرسانية ضخمة، أوتوسترات متوازية، يحاز واحدنا، كيف يجد طريقه عندما يسلكها.

2- مرزق الإعمار جغرافية المدينة، فاخنت اجتماعياً.

■ مرزق الإعمار إذاً جسد المدينة، وقتت وخذتها الاجتماعية، وجعل الطرقات الرئيسية فيها، مجالات عبور إلى أمكنة هامة خارجها:

إلى الكازينو، وطريق طرابلس.

إلى الحازمية، وطريق الشام.

إلى المدينة الرياضية، والمطار.

إلى الأوزاعي، وخلده، وطريق الجنوب...

يستمر اختناق العاصمة اجتماعياً، مع محو كامل لمعالها التاريخية، ولأمكنة الذاكرة الجماعية فيها

■ وكانت الحرب الأهلية، قد قسمت المدينة في قلبها، وعلى امتداد طريق الشام، إلى شرقية وغربية. كان الانقسام مديناً، واجتماعياً، وطائفيًا، مع إلغاء كامل لدور قلب المدينة الموحد، وطنياً واجتماعياً.

توقفت الحرب، بعد أن كانت المدينة قد أعلنت بداية اختناقها، الوطني، والاجتماعي.

■ وجاءت إعادة الإعمار، ففصلت قلب المدينة عن جسدها، أكرز مرة أخرى، بطوق من الأوتوسترات العريضة القائمة. فقلنا في حينه، وهل يخفق قلب خارج الجسد؟!

مات القلب إذاً، بعد أن العت إعادة الإعمار، كل عناصر الحياة فيه:

- العت علاقته بالبحر أولاً، وهي ميزته الرئيسة.

- والعت قيمته التاريخية، بإزالتها الكثير من المعالم، وبتغييرها لشبكة الطرقات فيه، وبتدميرها لأسواقه التقليدية، أحد مجالات

